

وسائط التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة

د. زهراء أحمد محمد أحمد (*)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الخلق والمرسلين الذي أرسله الله تعالى قدوة وأسوة للمربين، وهدايا وداعياً إلى الله بإذنه على صراط مستقيم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

البشر عبر الأجيال المتعاقبة اهتموا بالتربية وعرفوا ضرورتها، وأصبح لكل أمة نظامها التربوي الذي يناسب أهدافها ومثلها العليا التي تصورتها لنفسها، وتعكس آمالها ومصالحها وعقيدتها، وللأمة الإسلامية منهجها التربوي، بأسسه ومصادره وأساليبه وخصائصه ومبادئه ومؤسساته ووسائطه، كل ذلك جعل منه منهجاً ونظاماً تربوياً سليماً متكاملًا متوازناً يصلح لكل البشر في كل زمان ومكان. لكن مفكري التربية الإسلامية المعاصرين وواضعي المناهج التعليمية في البلاد الإسلامية والحاديين على تطوير التربية والتعليم في بلادهم وفق المنهج الإسلامي، جنحوا إلى وضع نظام للتربية الإسلامية يحاكي ما عند الغربيين بصيغة إسلامية، فجعلوا الإسلام بذلك تابعاً للحضارة الغربية. ولكن بالاستنباط الصحيح للنظام التربوي الإسلامي من القرآن الكريم والسنة المطهرة وما توصل إليه السلف استناداً عليهما، يوصل إلى النافع الذي خطته التربية الغربية في استقامتها. هذا النهج يمكن المجتمعات المسلمة من إعادة التربية الإسلامية إلى أصالتها، وتدرّك الأجيال المسلمة أن السبق للإسلام في كل ما هو مفيد وصالح ونافع للإنسان من خالقه عزّ وجلّ وهو أدرى بما ينفعه: ﴿

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾

إن الأمة في حاجة ماسة إلى هذه التربية الأصيلة التي لا تقوم في أساسها على تقليد التربية المعاصرة أو معارضتها في بعض ما هو واضح للعيان مخالفاً لأسس الإسلام، تحتاج الأمة إلى تربية تقوم على الرؤية الإسلامية المتكاملة للكون والإنسان

(*) أستاذ مشارك في العلوم التربوية بكلية التربية بالجامعة.

(١) سورة الملك الآية 14

والمعرفة والقيم والأخلاق، تستنبط منها المبادئ والأسس والأهداف والوسائل والأساليب.

مثل ذلك المنهج التربوي الإسلامي الذي تربي عليه الأوائل وغرس فيهم الإيمان والقوة والذي مكنهم من فتح بلاد الروم والفرس وتبليغ الرسالة ، ووضع أسس الحضارة الإسلامية في مختلف العلوم والمخترعات ، وكل ما قامت عليه الحضارة الإنسانية المعاصرة المزدهرة في الغرب حالياً.

رصانة هذا المنهج التربوي الإسلامي تحث على التعرف عليه من جميع مكوناته لا سيما مؤسسات التربية الإسلامية ووسائلها ، التي أخرجت هذه الأجيال المتفردة من السلف حكماً وقادةً وعلماء ومربيين.

مشكلة البحث وموضوعه:

تطوير المجتمعات المسلمة ونهضتها لن يتأتى إلا بتطوير التربية الإسلامية ، وذلك لن يتأتى إلا ببرد التربية الإسلامية إلى سيرتها الأولى مع استفادتها من جميع آليات الحداثة ومستجداتها ، هذا بالطبع يحتاج إلى الإحاطة بكل مكونات التربية الإسلامية ومعرفة مؤسساتها ووسائلها التي كانت عليها في عصر الازدهار الحضاري في الدولة الإسلامية. من هنا كانت مشكلة هذا البحث وموضوعه السعي بحثاً عن وسائل التربية الإسلامية وعلاقتها بالأصالة والمعاصرة.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية هذا البحث في الآتي:

يتيح للباحثين والدارسين مزيداً من المعرفة عن مؤسسات التربية الإسلامية ووسائلها المتعددة المعلوم منها والذي لم يتطرق إليه البحث كثيراً.

كما يوضح البحث فاعلية هذه الوسائل في صناعة الحضارة الإسلامية في شتى المجالات والعلوم.

كما تكمن أهمية هذا البحث في أنه يوضح للضالعين من علماء الأمة الإسلامية ومفكريها في محاكاة علماء التربية والمناهج الغربيين أن أصالة التربية الإسلامية حافزة للإبداع والابتكار كما كانت من قبل.

كما تبرز أهمية البحث في لفت أنظار الباحثين إلى مرونة مؤسسات التربية الإسلامية ووسائلها وانفتاحها مما يمكنها من المشاركة بفاعلية في الحضارة الإنسانية المعاصرة بالإفادة من الوسائل والتقنيات الحديثة.

أهداف البحث:

وسائط التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة

الغرض الرئيس لهذا البحث هو توضيح الدور الوظيفي لوسائط التربية الإسلامية وارتباطها بالأصالة والمعاصرة. ويندرج تحت هذا الغرض الأهداف التفصيلية الآتية:

التعرف على مؤسسات ووسائط التربية الإسلامية.
التعرف على ارتباط هذه الوسائط بأصولها الشرعية.
التعرف على وسائط التربية المعاصرة المتنوعة.
توضيح مدى العلاقة بين وسائط التربية الإسلامية والوسائط في التربية المعاصرة.

توضيح أهمية الجمع بين الأصالة والمعاصرة في وسائط التربية الإسلامية.
الأسئلة التي يجيب عليها البحث:

ما المؤسسات والوسائط الفاعلة للتربية الإسلامية عبر تطور الدولة الإسلامية؟
هل هذه الوسائط التربوية ذات علاقة بمصادر التربية الإسلامية؟
ما أهم وسائط التربية المعاصرة؟

ما مدى ارتباط الوسائط المعاصرة بالوسائط الإسلامية؟
هل يمكن تطوير وسائط التربية الإسلامية لتجمع بين الأصالة والمعاصرة؟

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث تصف الباحثة الحقائق العلمية من مصادرها المهمة وتنظمها لتستنتج منها إجابات على أسئلة البحث المطروحة وتحقق أهدافه المعلنة، وصولاً إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة موضوع البحث.

حدود البحث الموضوعية: يقتصر البحث على وسائط التربية الإسلامية ولا يتعداها لمكونات التربية الإسلامية الأخرى.

الحدود المكانية والزمانية للبحث: تتداخل الحدود الزمانية والمكانية لتشمل التربية الإسلامية من بداية قيام دولة المدينة وامتداداً في عصور الدولة الإسلامية خلال عصر الازدهار السياسي والحضاري إلى عهود الضعف والغزو الثقافي الفكري.

تعريف المصطلحات:

التربية الإسلامية: مجموعة الأصول الخاصة ببناء الإنسان المسلم والواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة والآراء والتطبيقات التربوية التي ترعاها الجهود

الفردية والجماعية، في أي زمان أو مكان بهدف بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة التي تعمل لخير دنياها وأخرتها.

الوسائط التربوية: وسائط مفردها "وَسَط" وهو مجال الشيء وبيئته. (1) والوسائط التربوية هي الوسائل المادية أو البشرية ذات الأثر متكاملة في تحقيق أهداف التربية والتنشئة الاجتماعية والثقافية والسياسية.

الأصالة: أصل الشيء أساسه الذي يقوم عليه، وأصل الشيء، جعل له أصلاً ثابتاً يبنى عليه، وأصالة التربية الإسلامية تعني في هذا البحث ارتباطها بجذورها العقديّة والفكرية والأخلاقية العائدة إلى الأصول في القرآن الكريم والسنة المطهرة النبوية وآراء الفقهاء والعلماء.

المعاصرة: مصدر للفعل "عَاصَرَ" ونقول عاصر فلان أي عاش معه في عصر واحد، (2) والمعاصرة تعني أن يعيش الإنسان في عصره وزمانه في أفكاره وقيمه وسلوكياته واستخدامه لكل مستجدات الحداثة والعصر وألا يعيش في عصر مضى لا تصلح تصوراتّه وإنجازاته ومفاهيمه وتقاليدّه للعصر الحاضر.

هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمة وإطار عام وثلاثة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: وسائط التربية الإسلامية.

المبحث الثاني: أهم وسائط التربية المعاصرة.

المبحث الثالث: الربط بين الأصالة والمعاصرة في وسائط التربية الإسلامية.

وسائط التربية الإسلامية

تمهيد:

التربية في مفهومها العام الواسع هي مجموعات العمليات والجهود الموجهة التي تحقق التغيير المرغوب فيه في سلوك الأفراد وحياتهم وفي أحوال المجتمعات وظروفها التي يعيشون فيها. وهي عمليات مترابطة تحقق نمو الإنسان الجسدي والعقلي والنفسي والعاطفي والروحي والخلقي والاجتماعي. هذا المفهوم بالطبع ينطبق على التربية الإسلامية التي تُعد الإنسان في كل الجوانب التي ذكرت ليحمل رسالة الاستخلاف في الأرض التي خلقه الله ليعبده حق عبادته من خلال هذا الاستخلاف. لكي يقوم الإنسان بهذا الدور المنوط به لا بد من إعداده لمسؤوليات هذه الرسالة بتزكية نفسه والأخذ بالأسباب التي تمكنه من الاستخلاف في الأرض عبادةً وتعميراً وإصلاحاً وتطويراً. هذا الإعداد تتولاه مؤسسات ووسائط تربوية مهمتها إخراج بهذه الصورة المثلى التي تمكنه من أداء الرسالة وفق شرع الله ومرضاته.

التربية الإسلامية مثلما تميزت بخصائص في غاياتها وأهدافها وأساليبها ومحتواها، كذلك تميزت بوسائط تربوية تقوم بتحقيق هذه الغايات والأهداف. ويهدف هذا المبحث إلى حصر أهم هذه الوسائط والدور التربوي والثقافي الفاعل الذي تقوم به، وهي:

: :

وهي الخلية الأولى للمجتمع والبيئة الطبيعية التي تتعهد الطفل بالرعاية في سنواته الأولى، وهي الوعاء الثقافي والتربوي الذي يكسبه الاتجاهات والقيم ومعايير السلوك والسمات الاجتماعية، وهي بذلك الوسيط الرئيس في التربية والتنشئة الاجتماعية. وفي التربية الإسلامية المعاصرة "الأسرة المسلمة" هي الوسيط التربوي الأهم على الإطلاق، لذا اهتم الإسلام كثيراً بالأسرة وحث على تكوينها تكويناً شرعياً مقنناً في كل صغيرة وكبيرة ليعيش الطفل في ظلها عيشة سوية. وهي من نعم الله التي ارتضاها لعباده لتستقر بها حياتهم وتلبي رغباتهم وتهيئ لهم أسباب الطمأنينة والمشاعر والعواطف النبيلة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا

لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴿١﴾. ويؤكد الإسلام على صلاح الأسرة لصالح الفرد والمجتمع، وجاء الأمر بتكوين الأسرة في القرآن الكريم لهذه الأهمية: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنَّ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِعَ عِلْمُهُ ۗ﴾ (٢)، وكذلك في السنة المطهرة: ((النكاح من سنتي ومن لم يعمل بسنتي فليس مني)) (٣).

وتبدأ المرحلة الأولى لتكوين الأسرة باختيار شريك الحياة على أساس سلامة العقيدة وحسن الخلق مما يحقق للزوجين سعادتهما وللأبناء التربية الإسلامية الفاضلة والاستقرار المنشود للأسرة: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالأُمَّةُ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ﴾ (٤).

والزوج المثالي في نظر الإسلام هو من تجتمع فيه الصفات الفاضلة والأخلاق الكاملة وإن كان فقيراً، لقوله ﷺ: "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساداً عريضاً" (٤).

وفرض الإسلام للزوج حقوقاً على زوجته كما جعل لها حقوقاً عليه، وجعل استيفاء الحق مشروطاً بأداء الواجب: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۗ﴾ (٥). وللمرأة على زوجها أن يعاشرها بالمعروف ويحسن معاملتها، وأقر الإسلام حقوقاً كثيرة للطفولة منها حق الحياة وحق التسمية الحسنة والغذاء الصحي والأمن والحب والرفقة من أجل الصحة النفسية.

(١) سورة الروم الآية 21.

(٢) سورة النور الآية 32.

(٣) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه ج1، دار الحديث، القاهرة (دبت) حديث رقم 1846، ص 592.

(٤) سورة البقرة الآية 221.

(٥) سورة البقرة الآية 228.

وأهمية الأسرة كوسيط تربوي تتمثل في هذه الوظائف التربوية التي تقوم بها وما توفره من مقومات النمو الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي والأخلاقي للأبناء وما ترسخه في نفس الطفل في سن مبكرة من دعائم الإيمان لقوله ﷺ: ((ما من مولود يولد إلا على فطرة الإسلام حتى يعرب فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))⁽¹⁾، وهذا بالطبع يوجه سلوكه مستقبلاً وجهة شرعية في كل مجالات الحياة.

ولأهمية الأسرة المسلمة كأول وسيط تربوي في تماسك المجتمعات والأمة المسلمة استهدفتها موجات التغريب في الأونة الأخيرة وبدأت محاولات انتهاك منظومة قيمها التي حددها الإسلام ومثال ذلك وثيقة "مشروع برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية" الذي انعقد في القاهرة خلال شهر سبتمبر 1994م⁽²⁾. استهداف الأسرة المسلمة من خلال هذه الوثيقة دفع اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل بالمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة أن تصدر "ميثاق الأسرة في الإسلام"⁽³⁾، ليكون رداً شافياً على عمليات الغزو هذه وأن يكون هذا الميثاق مرجعاً للمجتمعات الإسلامية ومنظماتها الأهلية والإقليمية والحكومات الوطنية تجد فيه الحجة القاطعة للمواجهة والدفع.

ثانياً:

المسجد لغةً مكان السجود واصطلاحاً مكان الصلاة وشرعاً كل موضع من الأرض لقول الرسول ﷺ: ((حينما أدركتك الصلاة فصلّ والأرض لك مسجداً))⁽⁴⁾. المسجد من الوسائط التربوية والثقافية المهمة في التربية الإسلامية، وهو أول مؤسسة

(1) رواه أحمد بن حنبل في مسنده.

(2) مشروع برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، الفصل الثاني عشر، الفقرة 124، الترجمة العربية الرسمية، طبعة 1994م.

(3) ميثاق الأسرة في الإسلام، اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، مصر، 2007م، ط1.

(4) رواه البخاري، صحيح البخاري، المجلد الثاني، الجزء الرابع، شرح وتحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، 1987م، حديث رقم 1580، ص 625.

تربوية أقامها الرسول ﷺ عندما وصل المدينة، أراد أن يجمع فيها شتات المسلمين من مهاجرين وأنصار وغيرهم يؤدون فيه صلواتهم ويعبدون فيه الله حق عبادته. ينطلقون منه لتحقيق أهداف الدين الجديد، ويتكاتفون ويتعاونون فيه لدرء المفاسد عنهم وحل المشكلات التي تقف عثرة أمامهم، يجمعون فيه أمرهم لمواجهة أعدائهم والمتربصين بعقيدتهم وأموالهم وأنفسهم. وهكذا أصبح المسجد من أول وهلة محوراً لحياة المسلمين في المدينة ووسيطاً للتربية الإسلامية الشاملة الكاملة المتوازنة، فيه يؤدي كل وظائفها وأدوارها التي يمكن أن يوجزها البحث في الآتي:

1- الوظيفة التربوية الإيمانية والروحية للمسجد: ارتبط بهذا الدور من بداية نشأته، ففي المسجد تؤدي الصلوات جماعة وصلاة الجمعة والعيدين وغيرها من الصلوات غير المفروضة. ويستمعون فيه إلى الخطب والمواعظ والدروس الدينية التي تعقب الصلوات أو في المناسبات الدينية. وفي المكتبات الملحقة بالمساجد الكبرى فيما بعد يجد المسلمون كباراً وصغاراً ألواناً من المعرفة الدينية. وتعد في المساجد حلقات تعليم القرآن الكريم وحفظه وإجادة ترتيله وكذلك الحديث والفقه. كل ذلك من شأنه تعميق القيم الإيمانية والروحية التي فطر الله الإنسان عليها منذ مولده: قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَأَقَمَرُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (1).

فكانت وظيفة المسجد الإيمانية والروحية هي تثبيت عقيدة الإسلام في نفوس النشء والكبار مما يجعلهم يلتزمون بالمبادئ والقيم الروحية والإيمانية في كل سلوكهم وحياتهم وعلاقاتهم العامة.

2- الوظيفة التربوية الخلقية والاجتماعية للمسجد: كذلك ارتبط المسجد منذ بداية تأسيسه بأداء وظائف تربوية اجتماعية وخلقية، ففيه تتوفر البيئة الاجتماعية لتنشئة الصغار وتوجيه الكبار وهو مركز للوعي الديني والراقي الأخلاقي يؤثر في قطاع كبير من المسلمين نحو القيم الاجتماعية والأخلاقية السلوكية الإسلامية المرغوب فيها، ويعزز الاتجاهات الإسلامية الخاصة بالتراحم والتعاطف والإحسان والتضحية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحرر من الخرافات والتقاليد البالية وتكوين رأي مستنير يجمع بين الوعي الديني والافتناع العقلي في فهم

¹ الروم الآية (30).

المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، التي تواجه المجتمع المسلم ومناقشتها عن طريق الشورى. وتتم في المسجد علاقات اجتماعية وتفاعلات تدعم مبادئ التعاون والتراحم والتواصل والتكافل، وتدعم الأخلاق الفاضلة من صدق وأمانة وتسامح وكرم وشجاعة وصبر وتقان وعدل وإحسان وغيرها من الفضائل، وهذا كفيل بتحقيق المجتمع الفاضل الذي يتأسى فيه الصغار بالكبار بما يرونه ويعايشونه فينمو عندهم الشعور بالاعتزاز بالمجتمع والأمة الإسلامية.

3- الوظيفة التربوية التعليمية للمسجد: تأريخ التعليم في الدولة الإسلامية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمسجد، فهو المكان الرئيس لنشر العلوم والثقافة الإسلامية، انعقدت فيه حلقات العلم والدراسة عبر القرون والأزمان في كل البلاد الإسلامية. مما أكسب المسجد هذه الوظيفة وأن التعليم في بدايته كان دينياً يحتاج المسلمون فيه لشرح الدين الجديد وتوضيح تعاليمه فأصبح المسجد معهداً تعليمياً للقرآن الكريم والحديث والفقهاء والقراءة والكتابة باللغة العربية وآدابها وأفرعها المختلفة. وحتى الصغار كانت لهم حلقات تعليم داخل المسجد قبل أن تخصص لهم "الكتاتيب" ملحقة بالمسجد. وتطور التعليم في المسجد ليشمل كل العلوم المرتبطة بالدين من لغة وحساب وفلك وتاريخ وكل أمور الحياة. حقق المسجد بذلك غايات التربية الإسلامية وأهدافها وهي إخلاص العبودية لله وما يتفرع عنها من أهداف. وما زال هذا الدور للمسجد مستمراً من خلال الدروس والخطب والمحاضرات اليومية والدورية.

4- وظائف الدولة التي يؤديها المسجد: في صدر الإسلام أدى المسجد وظائف سياسية وإدارية للدولة بحسبان أنه مركز الدولة ومصدر الحياة، فقد كان منطلقاً للجيوش في غزواتها في سبيل الله، وكان منزلاً لاستقبال الوافدين ووداع المبعوثين من رسول الله ﷺ وإليه، وكان مركزاً لإدارة الدولة وإصدار القرارات المهمة، وكان مركزاً للإعلام والثقافة والوعي الاجتماعي وتبصير المسلمين بحقوقهم وواجباتهم تجاه الدولة. كما كان المسجد داراً للقضاء يحتكم فيه المتخاصمون أمام الرسول ﷺ والخلفاء من بعده وقضاة المسلمين وعلماء الفقه وأهل الفتيا.

أهم المساجد التي أدت هذه الوظائف في العالم الإسلامي:

أول مسجد أسس على التقوى من أول يوم وهو مسجد "قباء" الذي أسسه

الرسول ﷺ في طريقه إلى المدينة مهاجراً من مكة.
المسجد النبوي الشريف منارة العلم والهدى والتقوى والذي يأتيه المسلمون
زائرين من جميع بقاع العالم لقبر الرسول الكريم ﷺ وروضته كما يأتيه متعلمين
وعابدين.

المسجد الحرام في مكة المكرمة قبلة المسلمين من كل العالم في صلواتهم، وقد
رفع قواعده إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام وعظمه الله تعالى قبل
الإسلام وبعده. ويأتيه المسلمون سنوياً لأداء فريضة الحج ومعتمرين في رمضان
وغيره. وإلى يومنا هذا المسجد الحرام مكان انعقاد حلقات العلم الشرعي ومقصد
العلماء وطلاب العلم من كل أنحاء العالم وهو أهم وسائل ترسيخ التربية الإيمانية
والروحية والوجدانية.

جامع عمرو بن العاص الذي بناه عام 21هـ وطور وزيد من بعده عدة مرات
حتى شمل "بضعاً وأربعين حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه" (1).

المسجد الأموي في دمشق الذي بناه الوليد بن عبد الملك في حاضرة الخلافة
الأموية ويعد واحداً من عجائب الدنيا في زمانه، خصصت فيه حلقات لتدريس الطلاب
ومكان للمدرسين وزوايا خاصة بالمذاهب السنية وزوايا للغرباء ومكان للنسخ وزوايا
كانت تدرس فيها العلوم الأخرى مما يدل أنه ليس مقتصر على الدراسات الدينية.
ومن المساجد التي لعبت دوراً في التعليم والتربية والثقافة "جامع المنصور"
الذي بناه الخليفة العباسي المنصور ثم جده الرشيد وزاد عليه الخلفاء من بعده حتى
أصبح قبلة العلماء وطلاب العلم، وكان للحنابلة السيطرة الغالبة عليه حتى منتصف
القرن الخامس الهجري بدلالة أنهم "اعتدوا عام 451هـ على الخطيب البغدادي وأذوه

(1) أحمد شلبي، التربية الإسلامية، نظمها، فلسفتها، تاريخها، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1982م، ص110.

وهو يدرس فيه". (10)

واشتهرت مساجد أخرى كمسجد قرطبة وجامع الزيتونة وجامع القرويين والأزهر الشريف والمسجد الأقصى رداً لله غربته - ومساجد شيدت حديثاً في العواصم العربية والغربية لتكون وسيطاً ثقافياً وتربوياً للمسلمين.

أوضح البحث أن الأسرة هي الوسيط الأول في التربية لا سيما في المرحلة الأولى، إلا أنه بعد سنوات الطفولة المبكرة التي يقضيها الطفل في المنزل يلتحق بمؤسسات التعليم، وتشارك المدرسة الأسرة مشاركة فاعلة في التربية من خلال سنوات الدراسة والتعليم المتصاعدة والمتنوعة.

منذ بداية التحاق الطفل بالمدرسة تهيئ له المدرسة توسيع علاقاته الاجتماعية مع الأطفال والمعلمين ومن خلال اتصاله بالعالم الخارجي ومن خلال الخبرات التعليمية التي يستمد منها القيم المؤثرة في سلوكه وعاداته. وتؤدي المدرسة دوراً إيجابياً في تعليم الاتجاهات والمفاهيم المتعلقة بالنظام العقدي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع. وعموماً تتيح المدرسة للأطفال ممارسة الأدوار الاجتماعية التي تناسب نضجهم.

وفي التربية الإسلامية في عصورها الأولى الأدوار التربوية والتعليمية آلت إلى المسجد بعد الأسرة ومعها وأصبحت وسيطتين متكاملتين، ولم تنشأ المدارس إلا في منتصف القرن الخامس الهجري حيث شهدت بغداد حاضرة الدولة الإسلامية آنذاك تأسيس أول مدرسة في عهد الدولة السلجوقية وهي "المدرسة النظامية" نسبة إلى الوزير السلجوقي نظام الملك وتبعته سلسلة من المدارس النظامية في المدن الأخرى وكانت بمثابة المدارس العليا أو الجامعات في عصرنا الحالي. وقد ذكر شلبي (1) أن من أسباب نشأة المدارس في هذا التاريخ أن السلاجقة السنينين أرادوا عن طريق المدارس نشر عقائد أهل السنة الصحيحة ومقاومة ما نشرته الدولة البويهية من قبلهم من تشيع وإفساد للعقائد. لهذا الغرض كانت المدارس في بدايتها دينية ثم بعد أن هدأت حدة التشيع بدأ تعليم العلوم الأخرى مثل الطب وغيره في المدارس. كذلك الأيوبيون السنينون وضعوا حداً للتشيع بإنشاء المدارس التي انتشرت في مصر وبيت المقدس ودمشق لهذا الغرض وغيره.

(1) المرجع السليق، ص 11.

وأُنشأ نور الدين زنكي أول مدرسة في دمشق "المدرسة النورية" وتبعها أيضاً المدارس النورية في كل المدن والقرى. وكانت المدرسة النورية الكبرى متخصصة في تدريس العلوم الشرعية على مذهب الإمام أبي حنيفة لذا درس فيها نخبة من علماء الأحناف.

واشتهرت إلى جانب ذلك المدارس الطبية والتي غالباً ما تكون ملحقة بالمستشفيات أو كما تسمى "البيمارستانات" وقد انتشرت في العالم الإسلامي في ذلك العصر مما ترتب عليه نهضة كبيرة في الدراسات الطبية.

وألحقت بالمدارس مرافق كثيرة من قاعات محاضرات ومساجد ومكتبات واستراحات للمعلمين ومساكن للطلاب وغيرها من المرافق. وخصصت للمدرسة النورية الكبرى وما تبعها من مدرس نورية أوقاف للصرف منها على المدارس، وهذا دليل على اهتمام المجتمعات المسلمة بالتعليم وبالمدارس كوسائل تربوية وثقافية تسهم في نهضة المجتمع وتطوره. وبذل المحسنون أموالاً طائلة من أجل استمرار العملية التعليمية التعلمية في كل مستوياتها.

الوظائف التي قامت بها المدارس كوسائل تربوية في المجتمع المسلم:

وهكذا نرى أن المدارس كانت وسيطاً تربوياً مهماً في تشكيل الفرد المسلم وتحقيق أهداف التربية الإسلامية بأسسها الفكرية والعقدية والشرعية وفي طليعتها عبادة الله وتوحيده والخضوع لأوامره. ويمكن تلخيص وظائفها في الآتي:

نقل التراث الثقافي مما يجعل وجود المجتمعات حيوية من خلال تناقل عناصر الثقافة الذي لا يحدث في الغالب آلياً بل بتوجيه وإشراف من المدرسة والمشرفين على التربية، وهذا ما يحدث في المجتمعات المعاصرة التي تتعقد فيها الحياة وتتعدد فيها الاتجاهات والقيم. وعملية نقل التراث هذه في التربية الإسلامية تعني إحياء التراث أو وراثته الكتب السماوية والمعاني الدينية⁽¹⁾، والتي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ

(1) الخطيب، وآخرون، أصول التربية الإسلامية، ط1، دار الخريجي للنشر و التوزيع، الرياض، 1995، ص243.

وَمِنْهُمْ سَائِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿١﴾⁽¹⁾
تبسيط التراث الثقافي: يصعب على النشء الإمام بالتراث بصورته المعقدة التي
توجد في الحياة، لذا تبسطه المدرسة بصورة تناسب المتعلمين في مراحل النمو
المختلفة.

تنقية التراث الثقافي: تحرص المدرسة أثناء نقل التراث الثقافي من جيل إلى
جيل على تنقيته من الشوائب والخرافات والأخطاء التي تلحق به فتبقى العقيدة سليمة.
التماسك الثقافي والاجتماعي: وذلك بالقضاء على الصراع الثقافي بين أبناء
الأمة الواحدة وخلق الشعور بالانتماء لهذه الأمة وهذا يأتي بجمع القلوب والعواطف
والأفكار على الإيمان الصحيح.

تنمية أنماط سلوكية جديدة: تسهم في إعداد النشء لمواجهة الحياة المستقبلية
وعدم الوقوف أمام التقدم بالتعصب الأعمى والجمود، وهذا بدوره يساعد على تنمية
الإبداع والذكاء والابتكار ونماء التفكير العلمي الذي هو أساس التقدم في كل عصر
وفي هذا العصر. وهذا ما كان عليه العلماء في عهد ازدهار الحضارة الإسلامية إذ
احتضنوا كل العلوم التي وجدوها في البلاد المفتوحة ودرسوها وبحثوا فيها وطوروها
وأقاموا بها هذه النهضة التي ما زلنا نفخر بها بعد إلباسها ثوباً إيمانياً بدل الإلحادي
الذي كان عليها.

:

قبل ظهور المدارس منتصف القرن الخامس الهجري كما ذكرت الباحثة كانت
المساجد هي المكان الأوحى لتلقي العلم في حلقاته. والعلم كان علماً دينياً في غالبه،
والمسجد هو المكان المناسب لقدسيته ولأنه مكان اجتماع الناس كبيرهم وصغيرهم،

(١) سورة فاطر الآية 32.

غنيهم وفقيرهم، عالمهم وجاهلهم. ولم يكن معهوداً تلقي العلم في المنازل إلا لضرورة ملحة. وقد كان كذلك في عهد الرسول ﷺ قبل الهجرة وقبل نشأة المنزل، فقد اتخذ الرسول الكريم دار الأرقم بن أبي الأرقم مركزاً يلتقي فيه بأصحابه يعلمهم مبادئ الدين الجديد وما يأتي به الوحي من آيات القرآن الكريم. "كما كان يستقبل في هذا المنزل من جنحوا إلى الإسلام ومالوا إليه ليغمر الرسول ﷺ قلوبهم بإرشاده وتعليمهم فيعتنقوا الإسلام وينضموا إلى جماعة المسلمين"⁽¹⁾. كما كان عليه الصلاة والسلام يجلس بمنزله بمكة والمدينة ليعلم المسلمين ويزكيهم إلى أن نزلت الآية الكريمة بالمدينة: **قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَبِظِينَ إِنَّهُ وَلَكِنَّ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَجِىءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِىءُ مِنَ الْحَقِّ﴾**⁽²⁾.

هذه الآية خففت على الرسول ﷺ ما كان يعانيه من تدفق الجموع على بيته تدفقاً يكاد يكون متصلاً لا يدع له وقتاً للراحة والاستجمام"⁽³⁾. ولما كان هذا المنع خاصاً بالرسول ﷺ فقد أصبحت بيوت متعددة ملتقى لطلاب العلم ومراكز علمية مهمة رغم انتشار المساجد ولكن لأسباب خاصة بأصحابها. من تلك المنازل منزل الرئيس ابن سينا⁽⁴⁾. وكان طلاب العلم يجتمعون في منزله ليلاً كل يقرأ ويتعلم مؤلفاً من مؤلفاته تحت إشرافه.

ومن العلماء الذين اعتكفوا في دارهم وعلّموا الطلاب فيها أبو سليمان

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ط3، ليون، 1881م، ص1335.

(2) سورة الأحزاب الآية 53.

(3) أحمد شلبي، مرجع سابق، ص68.

(4) ابن سينا هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، ولد ببخارى 370هـ، فيلسوف وطبيب ومربي وهو الشيخ وهو الرئيس، أغنى المكتبة بنتاج ضخم.

السجستاني⁽¹⁾. وكان "أعور به وضح، ذلك سبب انقطاعه عن الناس ولزومه منزله فلا يأتيه إلا مستفيد وطالب علم، وكان منزله مقيلاً لأهل العلوم القديمة، فكان يتصدى لقرائها ويقصده الرؤساء والأجلاء"⁽²⁾.

ومن الدور المشهورة لطلاب العلم دار الإمام الغزالي⁽³⁾، التي كان يستقبل فيها تلاميذه بعد أن اعتزل العمل بنظامية نيسابور، على أثر رحلته التي قام بها للحج والاعتكاف بالجامع الأموي بدمشق حيث كتب كتابه الشهير "إحياء علوم الدين". وذكر ياقوت الحموي أنه "لما أتهم علي بن محمد القصيمي (516هـ) بالتشيع وسئل عن ذلك الاتهام ولم ينكره فُصل من النظامية حيث كان من مشاهير مدرسيها، ولكن أفواجاً من المتعلمين راحوا يقصدونه في داره ليواصلوا القراءة عليه"⁽⁴⁾.

هذه أمثلة ونماذج محدودة تبين أنّ منازل العلماء أسهمت كثيراً في نشر الثقافة خاصة قبل انتشار المدارس، فكانت من الوسائط التربوية والتعليمية والثقافية ذات الدور الفاعل في التربية الإسلامية.

خامساً: الصالونات الأدبية:

ظهرت هذه الصالونات الأدبية في العصر الأموي ثم انتشرت وازدهرت في العصر العباسي. وكانت الصالونات الأدبية امتداداً لمجالس الخلفاء الراشدين حيث كانوا يجلسون في المسجد أو قربه ليفتوا في مشكلات المسلمين ويستدعون الصحابة للشورى فيما لا يهتدون لحله، وكانت مجالس بسيطة بساطة ذلك العصر. لكن الصالونات الأدبية أثرت فيها التقاليد والحضارات التي اقتبسوها من البلاد والممالك المفتوحة. ولم تكن الصالونات مفتوحة لجميع الناس كمجالس الخلفاء الراشدين بل كانت حصراً على طبقة معينة في موعد وزمان انعقاد محدود، وهيئة وملبس متأنق وتقاليد وأداب سلوكية متعارف عليها، كما أن الموضوعات التي تناقش أكثر تنوعاً وعمقاً.

وبما أن الخلفاء يعتبرون أنفسهم حماة للعلم فقد خصصوا في قصورهم صالونات أدبية صارت مراكز تشع منها الثقافة والعلم والمعرفة، يلتقي فيها العلماء

(1) أبو سليمان السجستاني هو محمد بن طاهر بن بهرام المتوفى في نهاية القرن الرابع الهجري.

(2) المرجع السابق، ص68.

(3) الغزالي (450هـ-505هـ) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي. ولد بطوس من أعمال خراسان، له أكثر من سبعين مؤلفاً أشهرها "إحياء علوم الدين".

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط5، ص415.

والأدباء. وارتبط تأريخ الصالونات الأدبية بتأريخ قصور الخلفاء والأمراء منذ تولي الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، كان يستدعي إلى مجالسه العلماء والأدباء وأرباب السير ليحدثوه عن تأريخ العرب والفرس والروم والأباطرة والأكاسرة ونظم حكوماتهم وإدارتهم وسير الأمور في ممالكهم.

وذكر المسعودي "يغلب على مجالس الخلفاء أن تكون مسرحاً للمناظرات العلمية والأدبية، وكان المقصود فيها خدمة الثقافة بالإضافة إلى الترويح والترفيه، ولكن الدهاة من الخلفاء كانوا ينحرفون في بعض الأوقات بهذه المجالس إلى دراسة التاريخ وأعمال القواد وأشهر الوقائع وحوادث الشجاعة ليستعينوا بذلك على مواجهة مشكلات مماثلة كانت تواجههم، وقد فعل ذلك معاوية وفعله أيضاً مروان بن محمد..."⁽¹⁾. وقد اشتهر عبد الملك بن مروان أيضاً بمجالسه العلمية والأدبية في صالونه.

ازدهرت الصالونات الأدبية أكثر في الدولة العباسية بدءاً بعهد الرشيد الذي كان على درجة عالية من الثقافة والمعرفة، إذ استقرت الدولة في عهده وكان يعقد المناظرات بين الشعراء والمناقشات بين الفقهاء والمساجلات بين أهل الفنون والأدباء. وازداد الازدهار في عهد ابنه الخليفة المأمون، فالخليفة نفسه كان عالماً، واختار أصحابه ورجال دولته من صفوة العلماء الأفاضل شرقاً وغرباً وأحاط بلاطه بالأساتذة والمستشارين والمترجمين والمفكرين ورجال العلم والأدب والفكر والأطباء والفلاسفة، استدعاهم من جهات متعددة من العالم المتمدن وشملهم جميعاً بعنايته باختلاف مشاربهم وجنسياتهم، وكان هو نفسه مبدراً للنقاش في المناظرات في مجالسه. واعتنق المأمون مذهب المعتزلة، ولما كانت المناظرة والجدل من أهم ما كان يعتمد عليه المعتزلة في نشر آرائهم، فقد وضعوا أسساً تعتبر قواعد لعلم البحث والمناظرة، وكان عهد المأمون سلسلة من الانتصارات للمعتزلة في مجالس البحث والمناظرة التي عقدوها مع الشيعة والدهريين وغيرهم.

ورغم أن العصر العباسي الثاني عهد انحلال وضعف سياسي إلا أنه كان عهد ازدهار علمي وأدبي انبثق من الصالونات الأدبية حيث اشتهر الأمراء والوزراء والقادة في الممالك المستقلة التي تكونت بحب العلم والأدب، ووجدوا متعة في حماية العلم وعقدوا له المجالس، ونشأت إلى جانب بغداد عواصم أخرى للعلم والأدب تزدهم فيها مجالس الصالونات الأدبية مثل مجلس الوزير ابن الفرات ومجلس سيف الدولة

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج5، ص77-78.

الحمداني صاحب المتنبى، ومجلس السلطان محمود الغزنوي ومجلس الوزير السلجوقي نظام الملك في بغداد الذي كان فقيهاً وعالمياً تعقد المناظرات في حضرته. وكذلك نور الدين زنكي الذي أصبح ملكاً لسوريا له شغف بالعلم ورعاية الثقافة عبر مجلسه الذي يؤمه العلماء من كل البلاد، وهو كما ذكر البحث مؤسس المدرسة النورية الكبرى وما تلاها من نوريات.

في مصر في عهد الطولونيين والأخشيديين كانت قصور الأمراء والوزراء ومنازل العلماء مكاناً للدروس والمناظرات. والفاطميون في مصر أيضاً اهتموا بالعلم والأدب من خلال صوالينهم الأدبية. وسلاطين الأيوبيين ووزراؤهم كانوا علماء أفذاذاً اهتمت صوالينهم بالعلم والأدب في مجالسهم. كما ازدهر نشاط الصالونات الأدبية في عهد المماليك.

نستنتج من كل ما ذكر أن الصالونات الأدبية كانت وسائط تربوية وعلمية طوال عهد الدولة الإسلامية حتى في عهد الضعف والتفكك مما أدى إلى تواصل نقل الثقافة والتراث الإسلامي والعربي إلى يومنا هذا.

حوانيت الوراقين:

قامت حوانيت الوراقين أساساً لأغراض تجارية كدكاكين لبيع الكتب ولنوعية روادها أصبحت مجالات للثقافة والحوار العلمي يؤمها المثقفون والأدباء ويتخذونها مكاناً لاجتماعاتهم الثقافية. ظهرت هذه الحوانيت منذ مطلع الدولة العباسية وانتشرت في جميع العواصم في بلدان العالم الإسلامي. وأصحاب الحوانيت في الغالب هم أدباء ومثقفون يستمتعون بهذه الحرفة التي تتيح لهم القراءة والاطلاع وتجذب إليهم العلماء والأدباء، وكان الوراقون "شخصيات لامعة كابن النديم صاحب الفهرست وعلي بن عيسى المعروف بابن كوجل الذي كان وراقاً وكان أديباً فاضلاً وقد ألف عدة كتب"⁽¹⁾. وياقوت الحموي نفسه مؤلف معجم البلدان ومعجم الأدباء كان "يتاجر في الكتب ويزور أسواق الوراقين ليعرض تجارته"⁽²⁾. ومن العلماء "الذين

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص179.

(2) أحمد شليبي، مرجع سابق، ص64.

يرتادون سوق الوراقين للنقاش أو المناظرة أبو الفرج الأصفهاني وأبو نصر الزجاج"
(1)

" وفي مصر كان سوق الوراقين إلى جانب جامع عمرو حيث أصبح هذا المكان مجعماً لأهل العلم يترددون عليه"⁽²⁾. كان الوراقون يقومون بنسخ الكتب وبيعها لروادهم من العلماء والأدباء ومن يهتمون بالعلم من الطلاب "وكانت هذه الحوانيت مغداً ورواحاً للطلاب والعلماء يتذكرون فيها ويتناقشون. وقد تعدى الأثر الثقافي لهذه الحوانيت أصحابها إلى أسرهم، أمثلة ذلك زينب وحمدة ابنتا زيد الوراق الذي يعيش في وادي الحمى بالقرب من غرناطة فقد برعنا في الآداب والعلوم وكاننا على قدم المساواة مع أساتذة العصر"⁽³⁾.

يستدل من هذا التوضيح لوظيفة حوانيت الوراقين أنها كانت بمثابة دور نشر تقوم بمهمة نشر المعرفة والثقافة وتوزيعها على نطاق واسع ويستفيد من خدماتها العلماء والطلاب وكافة محبي العلم والمعرفة وبذلك فهي من وسائل التربية والتعليم والثقافة الفاعلة.

بدأت الرحلات العلمية مع بداية الدولة الإسلامية حيث تفرغ الصحابة والعلماء في الأقطار المفتوحة ليعلّموا الناس شؤون الدين والقرآن الكريم والحديث الشريف، وصار كل صحابي عالماً كالمركز العلمي بالبلد الذي حلّ به، ومن أشهر الصحابة العلماء عبد الله بن عمر وحلقته في المدينة، وعبد الله بن عباس وحلقته في مكة، ومعاذ بن جبل وحلقته في اليمن، وأبو موسى الأشعري وحلقته في البصرة، وعبد الله بن مسعود وحلقته في الكوفة، وعبد الله بن عمرو بن العاص وحلقته في مصر. ولما كان هؤلاء الصحابة من أهم رواة الحديث فقد سعى إليهم الناس وطلاب العلم ليأخذوا عنهم الأحاديث التي تلقوها عن الرسول ﷺ. وفي الجيل الثاني من علماء المسلمين "تنوعت وزادت حلقات العلم بإضافة

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مرجع سابق، ص157.

(2) أحمد شلبي، مرجع سابق، ص65.

(3) أحمد شبي، المرجع نفسه، ص64-66.

أفرع أخرى من علوم الدين كالتفسير والفقه وعلم الكلام، فكانت حلقة سعيد بن المسيب في المدينة وعطاء بن رباح في مكة والحسن البصري في البصرة، وحلقة عطاء بن عبد الله الخرساني في خراسان⁽¹⁾. ولعل ما دفع طلاب العلم للحاق بتلك الحلقات في الأمصار المقولة المأثورة: "من سافر في طلب العلم كان مجاهداً في سبيل الله، ومن مات وهو مسافر يطلب العلم كان شهيداً"⁽²⁾.

وقد تحدث ابن خلدون في مقدمته بإفاضة عن أهم الرحلات لطلب العلم، من ذلك قوله: "الرحلة في طلب العلم مفيدة لأنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم تارة علماً وتعلماً وإيتاءً وتارة محاكاةً وتلقيناً بالمباشرة، إلا أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد احتكاماً وأقوى رسوخاً"⁽³⁾.

وفي الأجيال اللاحقة أصبحت الرحلات العلمية وسيطاً مهماً لتلقي العلم والمعرفة في مختلف العلوم حتى صارت قيمة الطالب والعالم تقدر بما قام به من رحلات لطلب العلم وعدد من تلقى عنهم من الشيوخ والعلماء، مثال ذلك عندما أراد الإمام البخاري جمع أكبر عدد من الأحاديث الصحيحة "جمع أحاديث بخاري ثم رحل إلى بلخ وسمع محدثيها ورواها، ثم رحل إلى مرو ونيسابور والري وبغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة ومصر ودمشق وقيسارية وعسقلان وحمص وجمع من هذه الأمصار ما تفرق من حديث وأمضى في هذه الرحلات ستة عشر عاماً"⁽⁴⁾.

ومن الرحلات العلمية المهمة ما قام به طلاب العلم إلى البادية لتعلم اللغة الفصحى بعد أن طرأ اللحن على اللغة العربية بسبب انتشار الإسلام وتوسع الدولة الإسلامية واختلاط العرب بالأعاجم وازدحمت عواصمها في المدينة ثم دمشق ثم بغداد بكل الجنسيات. ونظراً إلى أنّ اللحن في اللغة مستهجن، بينما بقيت اللغة سليمة في الصحراء والبادية التي لم تجذب الأعاجم، توجهت رحلات العلم إلى البادية بل وقد بعض البدو إلى الحضرة واتخذوا من تعليم اللغة السليمة مهنة لهم، وصارت صحراء سوريا مدرسة الأمراء الأمويين يتعلمون اللغة العربية فيها سليمة ويتذوقون فنون الشعر والأدب، وورد أن الوليد بن عبد الملك لم يرسل للبادية حرصاً على

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مرجع سابق، ص412-423.

(2) أحمد شلبي، مرجع سابق، ص317 عن أبي الحاج: الألف بالألأبا 18 مخطوط منهاج المتعلم 16 ب مخطوط.

(3) ابن خلدون، المقدمة، القاهرة، (د.ت) ص299-300.

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، القاهرة 1275هـ، ص649.

راحته " فلم يتقن اللغة قواعدها وكان كثير الأخطاء فيها ومن أجل ذلك أثر عن أبيه أنه كان يقول: أضرّ بنا حبنا للوليد فلم نرسله للبادية" (1).

وكذلك الخلفاء العباسيون كانوا يرسلون أبناءهم للبادية للغرض نفسه. ومن العلماء الأعلام الذين قصدوا البادية: الخليل بن أحمد والكسائي والشافعي. وظل طلاب العلم يرحلون لمقابلة الشيوخ في الأمصار المختلفة والأخذ عنهم إلى أن نشأت المدارس العليا في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري كما أوضح البحث، وزودت هذه المدارس بالأساتذة العلماء المتميزين، فتحوّلت رحلات العلم إلى هذه المدارس للاستماع إلى شيوخها والانتفاع بما فيها من ميزات وتسهيلات.

كذلك من رحلات طلب العلم أو تقديمه تلك التي كان يقوم بها العلماء إلى الرباطات، وهي عبارة عن ثكنات عسكرية على ساحل البحر أو على الحدود للمراقبة وملاحظة تحركات العدو القادم من تلك الجهات فيستعد الجنود المرابطون لصد الغارات، ومعظم الرباطات كانت في المغرب العربي على ساحل البحر المتوسط في مناطق ليبيا وتونس والجزائر والمغرب. ورغبة المسلمين في تحصيل العلم جعلتهم يستغلوا هذه الرباطات في التعليم والتدريس فكان العلماء يفدون إلى هذه الرباطات لتعليم المرابطين، وقد هيئت الرباطات لهذا الغرض فأنشئت فيها أماكن للتدريس وخزائن للكتب وأماكن لإقامة المدرسين القادمين للتعليم تطوعاً وجهاداً بالعلم والنفس في سبيل الله، كما كان بعض العلماء يشاركون في الرباط حماية للبلاد الإسلامية ومشاركة منهم في الجهاد لنيل الأجر والثواب من عند الله.

وهكذا صارت الرباطات وسيطاً علمياً وثقافياً متخصصاً في تقديم العلم والمعرفة للمرابطين في سبيل الله، وكان الأثرياء أيضاً يبذلون المال والكتب وكل الاحتياجات من تعليم المرابطين ومشاركة بالمال في سبيل الله.

:

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ط2، القاهرة، 1913م، ص190
مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
والعشرون 1434هـ 2013م
العدد السادس

تعتبر المكتبات من الروافد والوسائط المهمة للتربية الإسلامية، ذلك لأن الكتب عند ظهورها الأول كانت مخطوطة واقتناؤها لا يتيسر لكثير من الباحثين عن المعرفة والعلم. كان القادرون يوفرون الكتب للراغبين في العلم وانتقل هذا السلوك لولاة الأمر من الحكام والوزراء فتحملوا مسؤولية إنشاء المكتبات وإثرائها بالكتب والمراجع وإمدادها بالموظفين من أمناء و مترجمين وناسخين ومجلدين ومناولين حتى تقوم المكتبات برسالتها التعليمية والتنقيفية على أكمل وجه حتى صارت المكتبات "نواة الجامعات الإسلامية المبكرة كبيت الحكمة في بغداد ودار الحكمة في القاهرة، وقد كان ذلك داعياً إلى اختلاف المؤرخين في طبيعة هذه المؤسسات وما إذا كانت تعد مدارس أو مكتبات.

ثم أصبحت هذه نماذج لهذا النوع من المنشآت سواء شيدتها الدولة أو أسسها الأفراد" (1)

وأصبحت المكتبات في العالم الإسلامي في تلك العصور تقوم بمهمة المعاهد العلمية في العصر الحديث بالإضافة إلى ما تؤديه دور الكتب في الوقت الحاضر من خدمات تجارية تنقيفية.

أغنى العلماء والفقهاء المسلمون المكتبات بالدراسات الدينية واللغوية، لكن النهضة العلمية التي ازدهرت في الدولة الإسلامية اعتمدت على الدراسات غير العربية من البلاد المفتوحة لذلك ازدادت أهمية المترجمين كوسيط بين العرب وهذه العلوم التي ترجمت للغة العربية. ووجد المترجمون مكانتهم في كل المكتبات الكبرى بدءاً بالمكتبة التي امتلكها خالد بن يزيد عام 85هـ حيث ترجمت له كتب الطب والنجوم والكيمياء، وقد أحضر "جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل في مدن مصر وقد تفصح بالعربية وأمرهم بنقل الكتب من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي

(1) أحمد شلبي، مرجع سابق، ص139.

وهو أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة" (1). ووصلت الترجمة قمتها في مكتبة بيت الحكمة في عهد الخليفة المأمون الذي أولى النهضة العلمية جل اهتمامه، فجمع عدداً كبيراً من كتب القدماء في شتى التخصصات وعين نخبة ممتازة من المترجمين لنقلها إلى اللغة العربية مع الشروح والتعليقات.

وتوقف ازدهار الترجمة بعد عهد الخليفة العباسي الواثق ولم يعد هنالك وجود يذكر للمترجمين في المكتبات العامة والخاصة. ولعل السبب في ذلك أن النشاط الكبير الذي حظيت به الترجمة من قبل نقل إلى العربية أمهات الكتب في الفنون المختلفة، وأن المسلمين بعد أن اطلعوا على ما تُرجم في بيت الحكمة وما عاصرها من مكتبات استطاعوا أن ينتجوا بلغتهم ثقافة وعلماً وفلسفة كانت مجالاً لنشاطهم العلمي في العهود التالية. ولما لم تكن وسائل الطباعة الحديثة قد عرفت بعد فقد زحرت المكتبات بالنسخ الذين يقومون بنسخ الكتب الحديثة بخطهم الدقيق الجيد، فأمدوا المكتبات بكل جديد ومفيد من الكتب. وذكر البحث أن الأوقاف كانت مصدر تمويل المدارس، كذلك كانت مصدراً للإنفاق على المكتبات، فقد أورد المقرئزي قائمة بالنفقات السنوية لمكتبة دار الحكمة مفصلة تفصيلاً واضحاً (2). وقد أنشئت المكتبات العامة بالمساجد والمدارس بعد انتشارها لتكون في متناول أيدي الباحثين والطلاب والوافدين.

أهم المكتبات العامة هي:

بيت الحكمة ببغداد: التي أسسها الخليفة العباسي هارون الرشيد وازدهرت في عهد ابنه المأمون بجلب الكتب وحركة الترجمة كما ذكرت الباحثة.
المكتبة الحيدرية بالنجف: نسبةً للاسم الذي اشتهر به علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند الشيعة، ولمكانتها هذه عمد الأعيان والوزراء والأمراء من الشيعة على الاهتمام بها وجلب أهم الكتب وأغلاها إليها.
مكتبة ابن سور بالبصرة: وأسسها أحد رجال عضد الدولة، ومن أهميتها أن الدروس كانت تقام فيها إلى جانب توافر الكتب والقراءة.
دار الحكمة بالقاهرة: التي أسسها الحاكم بأمر الله الفاطمي عام 395هـ وكانت متاحة لجميع الناس للقراءة والنسخ والتعلم، حيث كانت تقام فيها اجتماعات المناظرات "وقد هدم صلاح الدين الأيوبي عندما حكم مصر دار الحكمة وبنى مكانها مدرسة

(1) ابن النديم، الفهرست، القاهرة، 1278هـ، ص340.
(2) المقرئزي، الخطط، ط1، القاهرة، 1289هـ، ص459.

مكتبة المدرسة النظامية ببغداد: وقد حوت هذه المكتبة كل نفييس ومفيد من الكتب والمخطوطات التي لا يوجد مثلها في أي مكان آخر. هذه أهم المكتبات العامة، وتوجد أيضاً مكتبات خاصة أنشأها العلماء والأدباء لاستعمالهم الخاص، وكانت كثيرة بكثرة عدد العلماء وحرصهم على إنشاء مكتبات خاصة بهم، لكن عدداً منها كان مفتوحاً للدارسين والباحثين وكان لها دورٌ تعليميٌّ مفيدٌ.

كل هذه المكتبات التي ذكرها البحث تعميماً وتخصيصاً كانت وسائط تربوية وتعليمية وثقافية ذات أهمية كبيرة ولعبت دوراً أساسياً في بناء الحضارة والنهضة العلمية في الدولة الإسلامية.

وهكذا يتضح لنا في نهاية هذا المبحث الأول، أن وسائط التربية الإسلامية قد تعددت وتنوعت ما بين الأسرة والمسجد ثم المدارس في المرحلة الأولى وما بعدها بما يعادل في عصرنا الحالي المرحلة الجامعية. ثم بعدها تتشكل الوسائط التربوية والثقافية ما بين منازل العلماء والصالونات الأدبية وحوانيت الوراقين والرحلات العلمية المتنوعة الأغراض إلى المكتبات العامة والخاصة، وكل واحدة من هذه الوسائط أدت دوراً مهماً في عملية التعليم والتعلم والتربية والثقافة المتنوعة الأغراض. كما أن كل هذه الوسائط كانت مرتبطة بمصادر التربية الإسلامية الأساسية: القرآن الكريم والسنة المطهرة، وتأثرت بالعلوم والحضارة التي وجدها المسلمون في البلاد المفتوحة أفادت من إيجابياتها وتخلت عن سلبياتها، وساعدت هذه الوسائط على بناء حضارة إسلامية أفادت الإنسانية كونها وضعت أساساً متيناً لنهضة الغرب العلمية والتقنية الحديث.

أهم وسائط التربية المعاصرة

في المبحث الأول حددت الدراسة أهم وسائط التربية الإسلامية، أما هذا المبحث فسيوضح أهم الوسائط في التربية المعاصرة وما هو مشترك مع التربية الإسلامية كالأُسرة والمدرسة، ثم الوسائط التي استحدثتها تغييرات العصر وإمكانياته العلمية والتقنية، نستعرضها جميعها بإيجاز واختصار:

في التربية المعاصرة:

(1) ابن خلدون، العبر، ط4، القاهرة، 1284هـ، ص79.

الدور العام للأسرة في التربية المعاصرة لا يختلف عن دورها في الأسرة المسلمة مع اختلاف المنطلقات. فدورها تربوي توسطي بين المجتمع وأفرادها في نقل جوانب الثقافة الاجتماعية المختلفة ومباشرة عملية التنشئة والتطبيع، وفي ممارستها لدورها هذا تتسم بنمطين: نمط تلقائي عفوي في اتباع أساليب وطرائق غير مقصودة وغير مقننة إلى حد كبير، ونمط يشابه التربية المدرسية في التمييز بالقصدية والتقنين والضبط.

الأسرة في المفهوم المعاصر وسيط تربوي يعمل على تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي له هويته وكيونته التي تتضح في مقدرته على الاختيار والتعبير عن ذاته وإصدار الأحكام. ولذا يعتبر علماء الاجتماع الأسرة في أدائها لهذا الدور التربوي الفعال "الجماعة المرجعية" الرئيسية في حياة الأفراد يستمد منها الفرد قيمه وأهدافه ومعايير وأساليب تصرفاته.

وينقرر الدور التربوي للأسرة على أسس عديدة أهمها: الأساس الاجتماعي الثقافي والأساس البيولوجي والأساس النفسي العاطفي. ويتسم الدور التربوي للأسرة في الإطار الثقافي المعاصر بالديناميكية نظراً للتغيرات العديدة التي تحدث للأسرة في مراحلها الزمنية التي تمر بها منذ تكوينها في البداية من زوجين شابيين إلى وفاة أحد الزوجين.

ويرى علماء الاجتماع التربوي ضرورة أن يحقق الدور التربوي للأسرة التكامل الاجتماعي للأسرة عن طريق مطالب مهمة نختصرها في الآتي:

1. تطوير أهداف مقبولة ومرغوبة لأعضاء الأسرة كافة.
2. إشاعة قيم الحداثة في حياة الأسرة.
3. الضبط لا الكبت في إشباع الحاجات البيولوجية والنفسية والاقتصادية.
4. الاشتراك بطريقة مباشرة وغير مباشرة في تقسيم العمل وفق اهتمامات مشتركة ووفقاً للأدوار في إطار مبدأ أن كل حق يقابله واجب.
5. تعزيز الروابط العاطفية بين أعضاء الأسرة (1).

هذه المطالب التربوية تشكل أسساً لبرامج وأهداف تربوية للأسرة تقدم من خلال المنهج في المؤسسات التعليمية، وضمن برامج التوجيه الأسرية في المؤسسات الثقافية والإعلامية وأجهزة التشريع وغيرها. لكن الأسرة في المجتمعات المعاصرة لا

(1) مصطفى عبد القادر عبد الله زيادة وآخرون، فصول في اجتماعيات التربية، مكتبة الرشد، الرياض 1423هـ، ص 155-158.

وسائط التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة

سيما الغربية منها لم تصمد أمام المتغيرات الحديثة المترتبة على الطفرة العلمية والتقنية والعولمة وبالذات في مجال الاتصالات والفضاءات المفتوحة وأصاب الأسرة المعاصرة كثيرٌ من التشوهات ما لم يجعلها "المرجعية الأولى" تماماً كوسيط تربوي.

ثانياً: المدرسة كأحد وسائط التربية المعاصرة:

وصلت المدرسة إلى الشكل والدور التربوي المعاصر بعد مراحل طويلة عديدة وتجارب مرت بها الإنسانية في مجالات تربية الأجيال. فقد كان الطفل في البداية يتعلم من أبويه ومجموعة تلقائياً بأسلوب غير مقصود أو منظم بل عن طريق التقليد والتأمل والمحاكاة ثم التكرار والإعادة بقصد الإتقان.

مع تطور المجتمعات تنوعت وتشعبت متطلبات الحياة اليومية وأصبحت الأسرة غير قادرة على تربية الأبناء لوحدها وسد احتياجاتهم المختلفة ونقل التراث الثقافي إليهم، فكان لا بد من وجود مؤسسة تربوية أخرى تساعد في العملية التربوية التعليمية، فكانت المدرسة تقوم بمهمة التربية إلى جانب الأسرة، كما تتعاون المدرسة مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى من أجل تحقيق الأهداف التربوية وتعليمهم من خلال المناهج التربوية المخططة المفاهيم والمهارات والتقاليد والعادات والاتجاهات والقيم والمعتقدات التي يرضى عنها مجتمعهم. ولا يقتصر التعليم والتربية في المدرسة على المنهج الرسمي المخطط له بل أيضاً عن طريق "المنهج الخفي".

والوظائف التربوية للمدرسة المعاصرة يمكن أن تحصر بإيجاز في الآتي (1):

1. نقل التراث الثقافي بعد تنقيحه وتطويره.
2. تبسيط المعارف والعلوم وتقديمها للطلاب من خلال الخبرات المباشرة وغير المباشرة.
3. الانتقاء والاختيار: أي اختيار القيم والاتجاهات والعادات والمعارف المرغوب فيها وفق الأهداف التربوية وتقديمها للطلاب.
4. الاقتصاد الثقافي: أي حسن الاختيار والتمييز بين العناصر القديمة والحديثة وتحقيق التكامل السليم بين فروع المعرفة مما ييسر سهولة التناول وسرعة التأثير والمعالجة.
5. التماسك الاجتماعي وتذويب الفوارق بين الطبقات: أي أن توفر المدرسة بيئة تساعد على إيجاد حياة متوازنة منسجمة يعيش فيها الأطفال والشباب ويعملون في سياقها على تنمية اتجاهات وأفكار مشتركة.

(1) محمد الهادي عفيفي، في أصول التربية، الأصول الثقافية للتربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976م، ص255.

6. تنمية أنماط اجتماعية جديدة: وذلك لمواجهة التغييرات في مجال المعرفة والحياة العلمية والسياسية ووسائل الإنتاج وفي تعدد الأنظمة وغيره.
7. الابتكار والإبداع: أي أن تسهم المدرسة في توجيه عمليات التغيير بإطلاق طاقات الطلاب إبداعاً وابتكاراً وتجديداً.

من هذا العرض يتضح أن المدرسة المعاصرة تقوم بوظائف متعددة وتسهم بالحفاظ على تكوين المجتمع وتدعم الترابط الاجتماعي وتساهم في حيوية المجتمع ونشاطه من خلال تنمية أنماط ثقافية جديدة وتنمية مهارات الابتكار والإبداع، كما تسهم في تحقيق الحراك الاجتماعي المطلوب لطلابها عندما يتخرجون إلى المجتمع، إلا أن هنالك صعوبات ومشكلات كثيرة تحول دون تحقيق المدرسة المعاصرة لوظائفها بشكل جيد لا سيما في البلاد النامية، ويحاول التربويون دوماً البحث عن حلول لهذه المشكلات والصعوبات.

الإعلام كوسيط تربوي:

مصطلح الإعلام يقصد به في العصر الحالي تقنيات الاتصال الكبرى والنشاطات الاجتماعية الأساسية التي جعلت هذه التقنيات ووسائلها الرئسية التي تمكنها من أن تصل أهدافها إلى الجمهور. وهذا المصطلح يترادف مع مصطلح "وسائل الاتصال الجماهيري" والمصطلحان معاً يختلفان مع مصطلح "وسائل الاتصال التربوي" والذي يشير إلى وسائل تعليمية تخدم العملية التربوية وتحقق أهدافها من ذلك المسرح التعليمي والدوائر التلفزيونية المغلقة والإذاعة المدرسية، والتي يكون تأثيرها محدداً بالوسط التربوي غالباً. أما الأولى فتخاطب الجماهير على اختلاف فئاتهم من أجل التثقيف أو التوعية أو توجيه الرأي العام، عليه يُعد الإعلام في المجتمع أهم أجهزة الاتصال التي تؤدي دوراً فاعلاً مؤثراً في تربية الأفراد والجماعات والشعوب، ويتضح هذا الدور بصفة خاصة في المحافظة على الهوية الثقافية للمجتمع من خلال المحافظة على قيمه وتراثه وتماسكه.

وتتنوع أجهزة الإعلام من مقروءة إلى مسموعة إلى مرئية. ومن المقروءة الصحافة التي تعتمد على الكلمة المطبوعة، ومن المسموعة الإذاعة التي تعتمد على الكلمة المسموعة، ومن المرئية التلفاز الذي يعتمد على الصورة والصوت معاً. ولكل وسيلة من وسائل الإعلام خصائصها ومميزاتها إلا أنها جميعها تشترك في مميزات عامة كوسائل تربوية وتعليمية هي:

1. تتضمن قسماً كبيراً من الاختيارات لجميع الفئات والأعمار.
2. تقدم خبرات ثقافية متنوعة ولها جاذبيتها ونزعتها الترويحية.

3. تنقل إلى الأفراد خبرات ليست في مجال تفاعلاتهم البيئية والاجتماعية المباشرة.
أدوات لبث الدعوات المختلفة وتكوين الاتجاهات.
تؤثر على عقل المشاهد والمستمع والقارئ ووجدانهم كوسيلة للتربية المستمرة والتنشئة الاجتماعية.
ويذكر البحث باختصار أهم الأدوار التربوية لوسائط الإعلام كلاً على حدة:

-1 :

ويصفها التربويون بأنها مدرسة بالمعنى الواسع لأنها نافذة القراء لتعلم المعارف والفنون والانفتاح على الحاضر والماضي وتلمس اتجاهات المستقبل، والتقدم في تكنولوجيا الصحافة أدى إلى سرعة انتشارها وتنوعها وتعددتها وسهولة مخاطبتها للجماهير الصغار والكبار. وأصبحت الصحافة ذات دور مهم في التنقيف والإرشاد والتوجيه نحو شتى صنوف العلم والمعرفة ونماذج القيم والآداب والمثل العليا.

-2 :

تزايدت أهمية التلفاز كأحد الوسائط التربوية بعد نجاح البث المباشر عبر الأقمار الصناعية وأصبح منافساً قوياً لبقية وسائل الإعلام من صحافة وكتاب وإذاعة. وللتلفاز دور مهم في عملية التنقيف الاجتماعي بيئته لقيم المجتمع وقضاياها ومنظّماته وعاداته وتقاليده مما يدعم ممارسة الفرد لدوره كعضو في المجتمع.
وللتلفاز أهمية في تعلم الأطفال الصغار يعول عليها التربويون كثيراً لأنه ينمي الرصيد اللغوي لديهم مما يقلل الفروق الفردية في القدرة اللغوية بين أطفال الأسر ذات المستويات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة.
وللتلفاز دورٌ تروحي له أثره في حياة الأفراد في إطار ما يصطلح عليه التربويون بـ "التربية لوقت الفراغ" التي تحقق للأفراد مجموعة من الخبرات المرربية وتشيع لديهم جوانب تحتاجها شخصياتهم من مشاعر البهجة والسعادة وفي الوقت ذاته إكسابهم مجموعة من القيم الشخصية والاجتماعية مستمدة من تلك الأنشطة المفيدة.

-3 :

وهي ما زالت منافساً قوياً للتلفاز وساعد على انتشارها رخص الثمن وقلة الحجم وبساطة التكنولوجيا، إذ توجد في المنزل ومكان العمل وفي الطريق والسيارة، وهي تنقل الفرد عبر الأثير في أفق واسعة في ثقافات الآخرين وفي التاريخ والماضي

البعيد من خلال برامج موجهة لتنمية قيم بعينها واتجاهات لدى فئات لا تتمكن من متابعة التفاضل في المناطق البعيدة والمحرومة. الإذاعة وسيلة تثقيف الجماهير وتعليمهم في منتصف القرن العشرين محو أميتهم، وما زالت تستطيع أن تقوم بأدوار تربوية وتثقيفية مهمة نظراً لشعبيتها وانتشارها واعتمادها على السمع فقط مما يمنح الفرد قدراً من التركيز.

: أشكال التربية المستدامة في العالم المعاصر:

هنالك وسيط تربوي في السياق المعاصر يختلف عن التربية في مؤسساتها المعلومة المنهجية والمنظمة. هذه الوسائط تقدم للأفراد تربية لم تتمكن المدرسة من الوفاء بها لمن فاتهم سن التعليم، تقدمها بشيء من المرونة لبعض فئات المجتمع وتسمى "التربية المدرسية غير النظامية" اشتهرت هذه المؤسسات في الحياة المعاصرة تحت مظلة "التربية المستدامة Long Life Education".

شاع هذا المفهوم منذ منتصف القرن العشرين وما زال فاعلاً في إتاحة فرص تعليم حقيقية ملبية لمتطلبات الحياة الثقافية والمهنية المتجددة دوماً، وأصبحت التربية المستدامة ضرورة في الحياة المعاصرة بسبب سرعة التجدد في نسيج المعرفة وزيادة وقت الفراغ بسبب اختزال وقت العمل مما يشجع على مواصلة التعليم. كما أن وسائل الاتصال الحديثة قاربت بين الناس وجعلت الفرد عضواً في الأسرة العالمية مما يستلزم تحقيق مطالبها بعقلية لا تنقطع عن التعليم تمكن من التجاوب مع الأحداث ومتابعتها. كذلك من دواعي التربية المستدامة التخفيف من حدة القلق التي اعترت الإنسان المعاصر مما جعل أهل التربية يتجهون نحو أساليب التعليم الموازن أو المفتوح لاستعادة التوازن المفقود لدى الشخصيات لتمارس دورها في الضبط والتوجيه الاجتماعي، كما أن تعدد الأدوار الاجتماعية في حياة الفرد "جماعات العمل المهنية، النادي، الحزب، الجماعة الدينية، جماعات العمل الاجتماعي..." أدى هذا إلى ازدياد أهمية التربية الموازية (اللامدرسية) لتحديد مواصفات هذه الأدوار وتعلمها وممارستها.

لأهمية الدور المؤثر للتربية المستدامة يستعرض البحث بعض أنواعها:

1- التعليم المعاود: Recurrent Education

وتعني أن يعاود الإنسان التعليم خلال سنوات العمل لاستكمال ما حصل عليه من تعليم دون النظر للمرحلة العمرية.

2- التعليم الممتد: Extension Education

أي أن تتواصل التربية في شيء من التكامل والاطراد في مرحلة العمل.

3- التعليم بالمراسلة: Correspondence Education
أي أن يتحمل المعلم مسؤولية توصيل العلم والمهارة إلى طالب يدرس في مكان
ووقت تحدده ظروفه الشخصية، ويلعب مفهوم "التعليم الذاتي" دوراً رئيساً في التعليم
بالمراسلة.

4- التعليم التعويضي: Further Education
وهو يوفر تعليماً للأفراد يشبع اهتماماتهم واحتياجاتهم التي لم يتمكنوا من
إشباعها أثناء تعليمهم لأي سبب من الأسباب فيتطلعون إلى فرص جديدة تتيح لهم
مهارات مرغوبة وحتى إمكانية الحصول على الدكتوراة وخير أنموذج لهذا النوع من
التعليم "كليات المجتمع".

5- تعليم الكبار: Adult Education
ومؤسسات تعليم الكبار تتيح فرصاً كبيرة للتعليم بعد سن العشرين تقريباً
القطاعات والأوساط وسيدات البيوت كافة. وفي تعليم الكبار توجد نماذج متعددة مثل:
الفصول المسائية، التعليم الترويحي، محو الأمية، البرامج المهنية المتخصصة.
ونوعية التعليم الذي تقدمه مؤسسات التربية المستدامة التي عددها البحث يوضح
أن المدرسة المعاصرة لا تحتكر لنفسها عمليات التعليم والتعلم والنمو العقلي والثقافي.
بل تعددت وسائل التربية ومصادر المعرفة، ويستطيع الإنسان أن يتعلم في أية مرحلة
من مراحل العمر وفي أي مكان، ولا يوجد تعارض أو تضاد بين التعليم المدرسي
وغير المدرسي. ويمكن التنسيق بين المدرسة ووسائل التربية الأخرى لا سيما في
مجال التجديد في طرائق التدريس وشمولية المنهج التعليمي وتوجيه العملية التعليمية
نحو مفاهيم التربية المستدامة وأن تقوم الجامعات بدور فاعل في تطوير التعليم
المستديم خاصة في مجال البحث العلمي.

Open University :

كانت الجامعة المفتوحة في بداية نشأتها عام 1963م بالمملكة المتحدة نوعاً من
التعليم بالمراسلة إلا أنه بعد تطور الاتصالات الإلكترونية طورت الجامعة المفتوحة
أساليبها ووسائلها و أصبحت تقدم التعليم لطلابها عن طريق برامج التلفاز والراديو
مدعمة بالدراسة عن طريق المراسلة والفصول التعليمية والدورات المقيمة القصيرة.
ولا تشترط الجامعة المفتوحة للالتحاق بدراساتها مؤهلات الجامعة الأكاديمية نفسها
رغم أن المستويات الأكاديمية فيها متماثلة مع مستوى الجامعة القائمة، كما أن هنالك
قدراً من المرونة وحرية الاختيار للموضوعات الدراسية في شكل مجموعات.
وقد انتظمت الجامعات المفتوحة منذ أواخر القرن الماضي في كثير من البلدان

العربية والإسلامية. ويعتمد هذا النوع من التعليم على اتصال مستمر بين الدارس والمؤسسة التعليمية بهدف استكمال مراحل التعليم أو التنمية العلمية والمهنية أو التعرف على مجال من مجالات المعرفة. ويحتاج هذا النوع من التعليم للإرشاد والتوجيه من المعلم للمتعلم وتقويم مدى تقدمه وتعديل مساره في إطار الجهد الذي يبذله.

التعليم عن بعد : Distance Education

ظهرت فكرة التعليم عن بُعد بعد أن تزايد الطلب الاجتماعي على التعليم، وقد بدأت نشأته مع بداية سبعينيات القرن الماضي، ويعتبر وسيلة مناسبة لتعليم الكبار وتأهيلهم وتدريبهم للتقدمي أو الانتقال من مهنة لأخرى. ومع مطلع القرن الحادي والعشرين حيث ارتفعت معدلات القبول في كل المراحل التعليمية بسرعة فائقة مما جعل المؤسسات العالمية والإقليمية والمحلية تهتم بهذا النوع من التعليم اعتماداً على تطور تقنيات الاتصال. وتلقت أنظمة التعليم عن بعد مع أنظمة التعليم المعتادة في الأهداف العامة التي تسعى لتحقيقها من خلال فرص التعليم والتعلم للراغبين في الاستمرار في التعليم ونقل المعرفة إليهم في أماكن وجودهم وتطور قدراتهم ومهاراتهم. لكن التعليم عن بعد يختلف عن التعليم العادي في الأساليب والوسائل.

: الجامعة الافتراضية: Virtual University

وإن كان التعليم بالمراسلة ثم التعليم عن بعد ازدهرا في بداية انتشار البريد لإيصال المواد المطبوعة والمكتوبة ثم البث الإذاعي وأجهزة التسجيل والتلفاز والفيديو بتقدم الصناعات الكهربائية والإلكترونية، فإن شيوع استخدام الأقمار الصناعية وانتشار استخدام أجهزة الكمبيوتر الشخصية وشبكاته خاصة الإنترنت أدى إلى تأسيس تعليم متكامل يعتمد على هذه التقنيات وهو ما يسمى بالتعليم والتعلم الإلكتروني E.Learning أو الافتراضي Virtual Learning.

وتعتبر الجامعة الافتراضية أحدث أشكال التعليم عن بعد تقدم خدماتها عن طريق استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والإنترنت لمساعدة المتعلمين في الوصول إلى أي تعليم يرغبونه وفي أي وقت يشاؤون، وقد يحصلون على التعليم من مصدر واحد أو مصادر متعددة. ومع تعدد الفرص والمجالات أمامهم يصبح العالم كله حرقياً تحت أطراف أصابعهم.

واستطاعت هذه التقنية الحديثة أن توفر للطلاب والراغبين في التعلم الاستفادة من المكتبات الإلكترونية والكتب الإلكترونية وقواعد البيانات والمحادثات ذات الاتصال المباشر وخدمات المعلومات الأخرى والبرامج الثقافية المختلفة من خلال

وسائط التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة

قيام العديد من معاهد التعليم الإلكترونية والجامعات الافتراضية بتوفير برامج عديدة على الإنترنت يمكن لجميع الدارسين في العالم الالتحاق بها، وما على الدارس إلا أن يفتح موقعاً معيناً ويدخل رقمه السري فيحصل على نص المحاضرة والأسئلة التي يجيب عنها، كما يمكن أن يجيب على الاختبارات والمشاركة في الحوار مع الدارسين الآخرين والمحاضر أو المشرف الأكاديمي.

بدأت نشأة هذه الجامعات الافتراضية عام 1999م في جامعة في نيويورك بكلية افتراضية واحدة من كليات الجامعة ثم ما لبثت أن انتشرت انتشاراً واسعاً في الولايات المتحدة ثم العالم أجمع. وحتى الجامعات التي لا تقيم تعليماً إلكترونياً على الشبكة أدركت أنّ عليها أن توفر لطلابها ومجتمعاتها مخزونها العلمي والمعرفي فأنشأت بوابات ومنصات ذات كفاءة عالية تتيح للمستخدم الدخول لمكتبات هذه الجامعة ومنشوراتها والتجول في أرجائها والإفادة من مختبراتها.

وترى الباحثة أنّ الجامعات الافتراضية وسائط تربوية وتعليمية مهمة لأنها تهدف بواسطة الإنترنت إلى تأمين أرفع مستويات التعليم الجامعي للطلاب في جميع أنحاء العالم من مكان إقامتهم بواسطة شبكة الإنترنت عن طريق إنشاء بيئة تعليمية إلكترونية متكاملة، وتقدم الجامعات الافتراضية الشهادات الجامعية من أعرق الجامعات العالمية المعترف بها دولياً، "كما تؤمن كل أنواع الدعم والمساعدة للطلاب بإشراف تجمع افتراضي شبكي يضم خيرة الخبراء والأساتذة الجامعيين في العالم (1)

: منظمات المجتمع المدني كوسائط تربوية:

تؤدي التربية أدواراً أساسية في تحسين عمليات النمو الاقتصادي والاجتماعي في معظم دول العالم، ولذلك أصبح العالم ينظر إلى قضايا التربية ومشكلاتها كقضايا مجتمعية لا بد أن تتكامل جهود كل التنظيمات الاجتماعية والمهنية لدعم هذه القضايا التربوية حتى تتمكن من تحقيق أهدافها الاقتصادية والاجتماعية.

أهم هذه التنظيمات المجتمعية والمهنية التي تقوم بأدوار تربوية هي الأحزاب السياسية والنقابات المهنية والعاملية والجمعيات الأهلية والأندية الثقافية والاجتماعية والرياضية والروابط المحلية وجميع منظومات التجمعات، أصبحت جميعها تشارك

(1) سعادة بنت فهد الحارثي، ورقة عمل بعنوان: المنظومة التعليمية بين التقليدية و الافتراض .

المدرسة والأسرة ودور العبادة ووسائل الإعلام وباقي مؤسسات التربية النظامية وغير النظامية تشاركها في إعداد رأس المال البشري وتنميته أو بمعنى آخر الفرد المنتج القادر على تحقيق الرقي والتقدم لمجتمعه في هذا العصر الذي يشهد تحديات متنوعة ناتجة عن هذه الطفرة الكبيرة في التقدم العلمي والتقني وتساعد الثقافة العالمية. هذه التغييرات تستلزم تضافر جهود كافة ما ذكر من تنظيمات مجتمعية لبناء شخصيات أبناء الأمة وتكوينهم ثقافياً ومهنياً. كما أنّ عجلة التطور السريع هذه تستدعي أن تقوم هذه المنظمات من وقت لآخر بتجديد هذه الأدوار في ضوء التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه المجتمع. هذا إلى جانب دورها في حماية الثقافة السائدة في المجتمع وتقديمها بشكل يناسب إمكانيات الأفراد وتنمية ثقافة أفضل وأكثر ملاءمة في ضوء الواقع المعاصر والتحديات المستقبلية.

وهكذا تشارك منظمات المجتمع المدني مشاركة فاعلة في حل مشكلات التربية والعمل على تحقيق الأهداف التربوية العليا. وتلاحظ الباحثة أنّ المجتمعات التي تسمى بالديمقراطية التي تعتمد على الانتخابات الحرة في الوصول للمناصب السياسية تكون الأولوية القصوى للراغبين في السلطة الاهتمام بالتربية والتعليم والإنفاق عليه ورفع أداء الجودة في العملية التعليمية.

"وأظهرت نتائج مؤتمر التربية الدولية الذي انعقد في داكار بالسنغال عام 2000م أهمية الدور الذي تقوم به الجمعيات الأهلية في تدعيم قضايا التعليم. وتوصل المؤتمر إلى تحديد أهم الجهود التعليمية والتربوية التي يمكن أن تشارك فيها التنظيمات المجتمعية ومنها تمويل المدارس وإقامتها والمشاركة في مشروعات محو

الأمية" (1) . كذلك أصدر البنك الدولي في تقاريره وتوصياته "ضرورة تفعيل أدوار المنظمات المجتمعية في تدعيم الإنفاق على التعليم، فأى تحسينات في نوعية التعليم لا تأتي إلا عن طريق إشراك الآباء والجمعيات الأهلية والمجتمعات المحلية في قضايا التعليم" (2) .

وعلى ضوء هذه التوجهات العالمية المعاصرة نشطت حركة البحث العلمي حول إسهامات الاتحادات والمنظمات المهنية والجمعيات الأهلية والأحزاب السياسية في عمليات التنمية الثقافية والمهنية لأفراد المجتمع وإحداث إصلاح تربوي من خلال هذه الوسائط المجتمعية مما حدا بالباحثة أن تعتبر منظمات المجتمع المدني المتنوعة المذكورة وسائط تربوية معاصرة ذات أثر وعائد تربوي غير محدود.

الأصالة والمعاصرة في وسائط التربية الإسلامية

في المبحث الأول أوضحت الدراسة وسائط التربية الإسلامية وفق مفهوم التربية الإسلامية الذي حدده البحث، وتبين أنها وسائط ترتبط بأصولها ورؤيتها الإسلامية للكون والحياة والإنسان والمعرفة والقيم. المبحث الثاني حدد أهم وسائط التربية المعاصرة أيضاً وفق مفهوم المعاصرة الذي حددته الدراسة.

في هذا المبحث الثالث من الدراسة تحاول الباحثة أن توضح مدى ارتباط وسائط التربية الإسلامية بالمعاصرة وإمكانية الاستفادة من كل مستحدثات العصر الناتجة عن التطور العلمي والتقني في تطوير وسائط التربية الإسلامية من أجل تحقيق أغراضها وأهدافها السامية ذات الأصول القرآنية والسنية.

البداية بالطبع الأسرة كوسيط أول في التربية الإسلامية التي اهتم بها الإسلام وأقر الأسس التي تبنى عليها مما يوفر المحبة والود والأمن والطمأنينة والثقة بالنفس وكل ما يؤدي إلى اتزان الشخصية، وهذا غاية ما ترمي إليه التربية المعاصرة من الأسرة. الأسرة المسلمة نجحت في أداء رسالتها طوال عهود التمسك والارتباط الوثيق بالإسلام وعليه رفدت المجتمع بالأفراد الصالحين وتكون منهم المجتمع الخير والأمة الخيرة التي عناها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

(1) محمد الأصمعي محروس سليم، الإصلاح التربوي و الشراكة المجتمعية المعاصرة، دار الفجر للنشر و التوزيع، ط1 القاهرة، 2005، ص34.

(2) المرجع السابق، ص34.

أُخْرِجَتِ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ
الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ وهذا بعينه
الصالح الذي رعى إليه علماء الاجتماع والتربية المعاصرون بجعلهم الأسرة
المرجعية الرئيسية في حياة الأفراد يستمد منها الفرد قيمه ومعايير تصرفاته وأساليبها.
من أجل ذلك تقوم الدول المتقدمة بإعداد برامج ثقافية أسرية تستهدف تعريف الوالدين
بمبادئ تربية الأطفال وخصائص نموهم في المراحل المختلفة وكيفية مواجهة
المطالب والحاجات وإشباعها في كل مرحلة من هذه المراحل، وهذا بالطبع ما سبقت
إليه التربية الإسلامية.

وفي المجتمعات المعاصرة في الغرب بالذات أدت المتغيرات الجديدة
الناجمة عن الانفجار المعرفي والطفرة العلمية والتقنية في وسائل الاتصال إلى آثار
ضارة على الأسرة مما أضعف دور الأسرة التربوي والروابط الأسرية، ونتج عن
ذلك انحرافات متنوعة. هذه الآثار السالبة كانت محدودة في المجتمعات المسلمة تزيد
بقدر بُعدها عن الإسلام وتشريعاته واستجابتها المطلقة للعولمة. وتشهد المجتمعات
المسلمة حالياً جهوداً لتلافي هذه الآثار السالبة والتركيز على إيجابيات التطور العلمي
والتقني والحداثة، وفي تاريخ الحضارة الإسلامية دليل كافي على إمكانية حدوث ذلك
وأن الإسلام والتربية المنبثقة عنه من خصائصها الجمع بين الأصالة والتجديد، فقد
استفاد علماء المسلمين من كل الموروث العلمي الإنساني للحضارات السابقة في بناء
الحضارة والنهضة الإسلامية، ذلك بعد تنقيح هذا الموروث العلمي من صيغته
الإلحادية وإلباسه ثوباً إيمانياً توحيدياً وتطويره وتسخير له لصالح الأمة والإنسانية
جميعاً.

أما المسجد والذي كان وسيطاً تربوياً متكاملًا كما أوضح البحث،
فتحاول التربية الإسلامية حالياً تفعيل دوره كوسيط تربوي إلى جانب الأسرة في
مواجهة تحديات العولمة السالبة. وللمسجد أثر كبير على قطاع كبير من المسلمين
ويقوم الآن في كثير من المجتمعات المسلمة بجذب النشء والشباب عن طريق الشرح
الصحيح وتوضيح أمور الدين والعبادات والعقائد والمعاملات بشروح بسيطة وسلسة،
كما يحاول المسجد استخدام التقنيات ووسائل الاتصال الحديثة في غرس القيم الدينية
الأخلاقية والاجتماعية في النفوس، ويحاول المسجد تكوين رأي عام مستنير يجمع بين

(١) آل عمران الآية(110).

وسائط التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة

الحماس الديني والإقناع العقلي، كما يحاول توضيح المشاكل التربوية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تواجه المجتمع والتعامل معها بمنظور إسلامي معاصر. إنَّ اهتمام المجتمع المسلم بالمسجد ورسائله الجديدة يجعله وسيطاً تربوياً يسهم في إعادة مجد الأمة وعزّها الذي افتقدته مع بداية التعمول الغربي على البلاد الإسلامية. المسجد يستطيع أن يعيد الأدوار الرائدة التي لعبتها المساجد الكبرى في العالم الإسلامي والتي أوضحها البحث إنَّ ضعف الوازع الديني في المجتمعات المسيحية بسبب انحسار الدور الفاعل للمؤسسة الدينية عندهم هو السبب في هذه الانحرافات في المجتمعات الغربية سواء أ كان ضعف الكنيسة في الغرب بسبب انحرافها في ذاتها أم بسبب الهجمة العلمانية عليها في بداية النهضة الأوروبية.

: أوضح البحث أنّ المدارس عند ظهورها في منتصف القرن الخامس الهجري قامت بدور فاعل في نشر المعرفة والعلوم ومن ثمَّ إحداث نهضة وحضارة إسلامية شاملة. وانحسر الدور الرائد للمدارس كوسيط تربوي وتعليمي في عهد انهيار الدولة والحضارة الإسلامية وهيمنة الغرب على البلاد الإسلامية. وبعد التحرر من الاستعمار وهيمنة الغربية بدأت المدارس والتعليم ينحو منحى غربياً تأثراً بالغزو الثقافي الغربي، لكن المدرسة الإسلامية تحاول الآن استعادة كينونتها وفق الرؤية الإسلامية ووفق أصولها المفقودة بل وفي صورة جديدة مواكبة لثورة المعلومات والاتصالات وباستخدام التقنيات الحديثة للقيام بوظائفها وأدوارها المحافظة من نقل للتراث الثقافي وتطويره وترشيده وإحداث الترابط الاجتماعي. إلى جانب ذلك تحاول المدرسة الإسلامية القيام بوظائف تجديدية وفق الأصالة، من ذلك تنمية أنماط سلوكية مستحدثة تجعل المتعلمين في المجتمع المسلم قوة دفع للتغيير والتجديد والتقدم وتنمية مهارات الابتكارات والإبداع والمساعدة على تحقيق الحراك الاجتماعي المطلوب للمتخرجين عندما يخرجون للمجتمع. وما ترمي الباحثة لتوضيحه أنّ المدرسة الإسلامية ببنيتها التأصيلية تستطيع إن شاء الله التفاعل وقبول كل العصور والنماذج المقترحة في التطور التربوي الحديث للمدرسة المستقبلية مثل: المدرسة المتعلمة The learning school والمدرسة القائمة على نظرية الجودة الشاملة

School based ، والمدرسة المستقلة Total quality driven school

management ، والمدرسة المبدعة Creative school والمدرسة المجتمعية School as community وغيرها من نماذج مستقبلية مطبقة أو مقترحة في البلاد المتقدمة.

فيما يخص الإعلام:

كان الإعلام في الدولة الإسلامية الوليدة كما ذكر البحث وظيفته من وظائف المسجد، فقد كان الرسول الكريم ﷺ كلما استدعى ظرفاً عاجلاً يدعو المنادي لجمع المسلمين في المسجد لإبلاغهم الأمر، كما تخرج الجيوش الداعية والغازية من المسجد بعد اجتماع تنويري توجيهي إلى مقاصدها، وكذا عندما تعود الجيوش منتصرة تأتي لتبليغ البشارة في المسجد. كذلك واجبات الدين الجديد كلها إن كانت فرائض وحيماً أو سنة تبلغ لجموع المسلمين بعد صلواتهم المفروضة أو خلال خطبة الجمعة، وأي خطبة طارئة. والمسلمون عموماً في تلك الفترة يعرفون أخبار دولتهم ودعوتهم من الأخبار التي يتناولونها ويتداولونها في المسجد. والبعوث إلى الأباطرة والملوك تخرج وتعود من المسجد والله. واستمر الأمر هكذا في عهد الخلفاء الراشدين ولفترة طويلة في الدولة الإسلامية.

في العالم المعاصر تزايدت أهمية الإعلام كوسيط تربوي نتيجة لتطور وسائل الاتصال والتفجر المعرفي الهائل حتى سمي العصر "عصر المعلومات" وأصبح امتلاك أكبر قدر من المعلومات فيما يسمى "إدارة المعلومات" من أجل توظيفها والإفادة منها في خدمة أهداف المجتمع، لذلك تضامن النظام التعليمي التربوي و"النظام الإعلامي" من أجل السعي لتحقيق أهداف السياسة الاجتماعية والتربوية كلٌّ بوسائله وطرائقه.

علاقة الإعلام بالتعليم في الدول المتقدمة تختلف إلى حدٍ ما عنها في الدول النامية بحكم ما بين المجموعتين من اختلاف نظم الإعلام والتعليم وسياقهما الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. لذا نجد سهولة التنسيق بين جهود الإعلام والتعليم في الدول المتقدمة، وأصبحت وسائل الإعلام قوة كبيرة ومؤثرة وقادرة على صنع "بيئة تربوية". أما في الدول النامية فيضعف الجهد المدروس والمخطط من أجل التنسيق والتعاون بين الإعلام والتربية والتعليم.

وبما أنّ الدول الإسلامية تعتبر ضمن الدول النامية، فإنّ وسائل الإعلام الحديثة فيها تبذل جهداً لتلافي ذلك القصور، وتحاول معالجة التبعية لوسائل الإعلام الغربية بالانطلاق من الرؤية الإسلامية لتحديد إستراتيجية إعلامية إسلامية يشارك فيها علماء المسلمين ومفكرهم في مجالات التربية والإعلام وعلم الاجتماع وعلم النفس، لتواجه هذه الإستراتيجية الإسلامية خطورة تأثير الإعلام الغربي في ظل العولمة والغزو الثقافي الفكري. والغاية من ذلك كله أن تصبح وسائل الإعلام في المجتمعات المسلمة وسائط تربوية وثقافية لتنشئة الصغار والشباب وتنوير الكبار

وتقديم خدمة إعلامية تربوية إسلامية عصرية.

صالونات الأدبية:

كانت وسائط ذات أثر كبير في التربية الإسلامية والثقافة المجتمعية، وفي التربية المعاصرة تباشر الدور نفسه المنتديات الأدبية والأندية والروابط الثقافية التي تنتشر في المجتمعات المعاصرة المسلمة وغيرها. وهي مجالس ذات طبيعة علمية تنعقد دورياً أو في المناسبات والظروف المتنوعة. وتقوم هذه المنتديات بنشاط ثقافي وتربوي عريض ضمن مؤسسات الدولة أو مؤسسات المجتمع المدني وتسهم في إحداث التغيير والتحول الاجتماعي المنشود في المجتمعات المسلمة وفق الرؤية الإسلامية والحدثة.

أما حوانيت الوراقين والمكتبات فقد تطورت في التربية المعاصرة إلى دور نشر وتوزيع ومكتبات متنوعة تنتشر في كل عواصم البلاد الإسلامية كغيرها من دول العالم مستفيدة من كل أدوات الحدثة والتقنية الجديدة في الطباعة والنشر والتوزيع، وهذا عضد استمراريتها كوسائل تربوية معاصرة رغم منافسة الوسائط التكنولوجية ووسائل الاتصال الحديثة لها.

الرحلات العلمية أو الرحلات لطلب العلم التي كانت من وسائط التربية الإسلامية المهمة استمرت كذلك في التربية المعاصرة كنوع من التعليم بالمراسلة والتعليم عن بعد وشكل من أشكال التربية المستديمة. وتستطيع الباحثة أن تقول إنّ البعثات الدراسية التي ترسل الجامعات طلابها إليها لنيل التخصصات النادرة في شتى بلاد العالم هي نوع متقدم من الرحلات لطلب العلم، وكذلك البعثات الدراسية والتدريبية التي توفد إليها المؤسسات الحكومية والأهلية موظفيها لنيل الشهادات العلمية والتدريب المهني الدقيق في البلاد المتقدمة علمياً وتكنولوجياً، هي أيضاً من ضروب رحلات طلب العلم في التربية الإسلامية سابقاً.

وهي في مجملها تمثل شكلاً من أشكال التبادل الثقافي والمعرفي بين الشعوب الصديقة متقدمة كانت أم نامية. وهي أيضاً من ضروب التربية المستديمة ولكن وفق أسس لائحية محددة حكومياً أو أهلياً. ولكنها تظل في إطار التربية المستدامة من حيث إنها "ممتدة طوال الحياة وبمثابة أداة للنمو، وعملية تطوير الفرد المستمرة لذاته، وتمتد العملية التعليمية حينما ينشط الإنسان وينفعل في كل ظروف حياته ومواقفها، والمبدأ الوحيد الذي يوجه اختيارها هو تكييف الوسائل المتاحة لظروف وقدرات الأفراد والمجتمعات، ويتولاها ويتعهد بها المجتمع بأكمله في مختلف

سياقاته وأوقاته (1).

وفي خاتمة هذا المبحث يتضح بصفة عامة أنّ وسائط التربية الإسلامية التي فصلها البحث هي ذات صلة مباشرة أو غير مباشرة بالوسائط الحديثة التي تتبناها المجتمعات الحديثة المسلمة وغير المسلمة مما يدل على أنّ التربية الإسلامية تتمتع بخاصية وميزة أنها جامعة بين الأصالة والتجديد وليس هنالك ما يمنع تحديثها مع الثبات على أصولها الشرعية الإسلامية.

(1) مصطفى عبد القادر عبد الله زيادة وآخرون، مرجع سابق، ص 199.

يات والمقترحات

من خلال المباحث الثلاثة التي اشتمل عليها البحث حاولت الباحثة أن تحقق أهدافه المعلنة في إطاره العام بالإجابة عن تساؤلاته المطروحة، فكانت أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

1. تعددت وسائط التربية الإسلامية وتتنوع ما بين الأسرة والمسجد والمدرسة إلى الصالونات الأدبية ومنازل العلماء وحوانيت الوراقين والمكتبات والرحلات العلمية وأدت جميعها أدواراً مهمة في التربية والثقافة والتعليم.
2. هذه الوسائط جميعها مرتبطة بأصولها الشرعية وبالرؤية الإسلامية للكون والإنسان والحياة والمعرفة والقيم والأخلاق.
3. أهم وسائط التربية المعاصرة أيضاً تتعدد في إطار واسع ما بين الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام المتنوعة وأشكال التربية المستديمة المختلفة والجامعة المفتوحة والتعليم عن بعد والجامعة الافتراضية ومنظمات المجتمع المدني والجمعيات الأهلية وشاركت جميعها كوسائط تربوية في خدمة التربية والتعليم لجميع فئات المجتمع وطلاب العلم والمعرفة والثقافة.
4. وسائط التربية الإسلامية التي ذكرها البحث قامت بالأدوار التربوية بنفسها والتعليمية والتنقيفية التي تقوم بها الوسائط المعاصرة في المضمون العام فقط تميزت المعاصرة باستخدامها لمستجدات العصر وتقنياته الحديثة.
5. لا يوجد مانع من أن تستطيع التربية الإسلامية الإفادة من كل وسائل الاتصال والتقنيات الحديثة في تحقيق أهداف التربية الإسلامية وإحداث نهضة وتطور غير محدود في المجتمعات المسلمة مع الارتباط الوثيق بالأصالة والرؤية الإسلامية. وقد بدأت بالفعل النهضة التربوية الإسلامية وفق ذلك.

التوصيات:

1. أن يتم التنسيق والتعاون بين المؤسسات التربوية ووسائل الإعلام من أجل تحقيق الأهداف التربوية الإسلامية المنشودة.
2. أن تعمل الجهات المسؤولة على تفعيل دور المسجد التربوي وسط النشء والشباب.
3. أن تسهم منظمات المجتمع المدني إسهامات فاعلة في الإصلاح التربوي عبر وسائط التربية المستديمة.

:

د. زهراء أحمد مجد أحمد

تقترح الباحثة إجراء الدراسات الآتية:

1. الدور التربوي للأسرة المسلمة في ضوء التحديات المعاصرة.
2. الدور الوظيفي للجامعة الافتراضية في حل مشكلات المجتمعات المسلمة.
3. دور الشراكة المجتمعية المعاصرة في إصلاح المؤسسات التعليمية وتطويرها.
4. تأصيل الأنشطة التربوية وتطويرها لتحقيق أهداف التربية الإسلامية.

العدد السادس

الإسلامية

مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

والعشرون 1434 هـ 2013 م